# أتباع سان سيمون ونشاطهم فى مصر

## ( ١٨٣٣ – ١٨٣٦ )

د. محمود صالح منسى

**سان سيمون ( ١٧٦٠ ـ ١٨٢٥ ) :**

ينتسب السان سيمونيون إلى الكونت « هنرى دى سان سيمون Claude Henri de Rouvroy de Saint Simon » صاحب المذهب الاشتراكى الذى نشأ فى فرنسا خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر ؛ فقد كان دائم التفكير فى أحسن الوسائل للنهوض بالإنسان والمجتمع الإنسانى كله ، وصار يرى أن هذا الأمر لايتحقق إلا بوسيلتين هما العلم والصناعة . ولذلك وثق « سان سيمون » صلته بكثير من أساتذة وخريجى مدرسة الهندسة العليا Ecole Polytechnique ، ورغم قلة ما لديه من مال فقد استطاع — بمعونة بعض أصدقائه — أن يصدر بعض المطبوعات مثل صحيفة « الصناعة L'Industrie » وصحيفة « السياسة La Politique » وكتاب « المنظم L'Organisateur » وكان آخر ما كتبه هو ( المسيحية الجديدة Le Nouveau Christianisme الذى ظهر فى ابريل من عام ١٨٢٥ وفيه أوجز « سان سيمون » الرسالة التى يجب أن يضطلع بها القرن التاسع عشر ألا وهى تحسين أحوال الطبقة العاملة أكثر الطبقات عدداً وأشدها بؤساً .

ويعتبر « سان سيمون » مؤسس الاشتراكية الفرنسية ، فقد آمن بالمبادىء الاشتراكية وعمل على نشرها ، ولما كان يعتقد أن تقدم العالم مرهون بأمرين اثنين هما العلم والصناعة فقد دعا إلى قيام دولة صناعية على أن يديرها العلماء لا الطبقات الأرستقراطية أو العسكرية ، وعلى أن تستهدف هذه الدولة إنتاج الأشياء المفيدة للحياة باستغلال قوى الطبيعة استغلالا علمياً منظما يقوم على التعاون بين الأفراد . كما كان « سان سيمون » يرى وجوب امتلاك المجتمع لأدوات الإنتاج حتى يتحرر العامل من الفاقة والبؤس ومن الشروط المجحفة التى كان يفرضها عليه أصحاب العمل ، وتضطره ظروفه القاسية من الجوع والحرمان إلى قبولها ، وبذلك لا يتحكم

أصحاب العمل فى العمال ، ويصبح العمل متوفراً لكل قادر عليه ويعطى كل فرد حسب إنتاجه .

وإلى جانب ذلك كان ( سان سيمون ) يتمنى أن يرى المجتمع الأوروبى وقد ألقى السلاح ونبذ الحروب وجنح إلى السلام ، ووسيلة ذلك — فى رأيه — العمل على الحد من التعصب الوطنى وإيجاد نوع من الاتحاد بين شعوب أوروبا ، مع احتفاظ كل منها باستقلاله القومى وحكومته المحلية ، على أن تقوم أنظمة للحكم متشابهة فى مختلف الأقطار الأوروبية من شأنها أن تساعد على التقارب بينها ، وإلى جانب هذه الأنظمة المحلية تقوم حكومة عالية وبرلمان أعظم لتنفيذ المشروعات العامة التى تعود بالنفع على المجتمع الأوروبى كله .

ومن الأسس الهامة التى قام عليها مذهب (سان سيمون)، دعوته إلى الجمهورية كنظام للحكم فى المجتمع الصناعى الذى نادى بقيامه ، فقد كان يرى أن الجمهورية أفضل النظم لأنه فى ظلها تتوفر الحياة الحرة الكريمة لكل مواطن دون استغلال .

وبعد وفاة ( سان سيمون ) فى ١٩ مايو ١٨٢٥ خلفه فى زعامة أتباعه الأب (بروسبير انفانتان Prosper Enfantin )واستمر نشاط الجماعةوازداد عدد أعضائها وانضم إليها كثيرون من خريجى مدرسة الهندسة العليا الذين كانوا يعتبرون من أقدر الناس على تحقيق أفكار السان سيمونيين وتنفيذ مشروعاتهم ، حتى لقد كان ( انفانتان ) يعتبر أن مدرسة الهندسة العليا هذه هى المصدر الذى تشيع منه أفكارهم فى المجتمع ، وأن العلم الذى رشفه أعضاء الجماعة فى هذا المعهد الأثير هو الذى سيغذى الأجيال التالية[١] .

ولم تلبث الحكومة فى فرنسا أن رأت فى وجود جماعة السان سيمونيين خطراً يتهدد الأمن العام ونظام الحكم القائم ، واتهمتهم بأنهم فى أحاديثهم يحضون الناس على الثورة ، ولذلك فسرعان ما عمدت إلى حل الجماعة وأودع زعماؤهم سجن (سان بلاجى St. Pelagie ) منذ ديسمبر ١٨٣٢ حتى أغسطس ١٨٣٣ عند ما اعتزموا الرحيل إلى مصر .

**السان سيمونيون ومشروع القناة :**

لقد كان مجىء السان سيمونيين إلى مصر عام ١٨٣٣ يهدف أولا وقبل كل شىء

(١) D'Allemagne, R. : Les St. Simoniens (Paris 1930), p. 87.

إلى تنفيذ مشروع القناة بين البحرين المتوسط والأحمر ، وقد راودت هذه الفكرة ( سان سيمون ) مثلما راودته فكرة شق قنوات أخرى مثل قناة ( انبارتيدو ) فى المكسيك بين المحيطين الأطلنطى والهادى ، والقناة بين مدريد والبحر المتوسط ، والقناة بين الدانوب والراين ، والقناة بين الراين وبحر البلطيق ، إلا أنه عندما مات ( سان سيمون ) عام ١٨٢٥ لم يكن قد تجاوز مرحلة التفكير فى مشروع القناة بين البحرين المتوسط والأحمر ، فترك الفكرة لأتباعه يتعهدونها ، فأخذ خليفته (انفانتان) يعمل من أجل شق هذه القناة التى اعتبرها — هى وقناة بناما — ذات أهمية قصوى فى سبيل تقدم التجارة وما سوف يترتب على ذلك من ازدهار الحضارة وربط شعوب العالم بعضها ببعض ، ورغم أن الحكومة الفرنسية حلت الجماعة وسجنت زعماءها فلم يفتأ هؤلاء فى سجنهم يفكرون فى المشروع ، حتى أصبحت أفكار الأب (انفانتان) وخططه — عندما أطلق سراحه فى أغسطس ١٨٣٣ تدور حول الرحيل الى مصر وشق قناة فى برزخ السويس ، فأعرب أنفانتان فى إحدى رسائله بتاريخ ١٨ أغسطس ١٨٣٣ إلى زميله (بارو Barrault ) عن اعتقاده بأنه « يقع على عاتقنا أن نشق بين مصر وبلاد اليهود القديمة ( يقصد فلسطين) طريقاً من الطرق الجديدة التى تصل أوروبا بالهند والصين ، ولسوف نشق بعدئذ طريقاً آخر فى بنما ، وبذلك نضع أحد أقدامنا فى بلاد النيل والآخر فى بيت المقدس ، فى حين يمتد ذراعنا الأيمن على مكة ويصل ذراعنا الأيسر إلى روما . ويظل مرتكزاً على باريس ، إن السويس هى مركز حياتنا العملية ، وفيها سوف ننفذ العمل الذى ينتظره العالم منا لكى نثبت قوتنا وشدة بأسنا »(١) .

وتحدث ( انفانتان ) مرة أخرى عن واجب إحياء مشروع توصيل البحرين المتوسط والأحمر فكتب فى ٢٨ أغسطس ١٨٣٣ إلى ( اردوان M. Ardoin ) — أحد الذين يهتمون بنشاط السان سيمونيين ويمولون صحفهم — مؤكداً أن قيام السان سيمونيين بتوصيل البحرين يعتبر عملا عظيما ، وأن الإسهام فى هذا العمل يجب أن يصدر عن شعور قوى يفيض بالحماس والإخلاص « لأن المجد سوف يكون جزاء أولئك الجنود المسالمين الذين سوف يضطلعون بتنفيذه »(٢) .

---

(١) Lettre d'Enfantin à Barrault, citée dans : Oeuvres de St. Simon et d'Enfantin, T. IX, pp. 56, 7; D'Allemagne, p. 357.

(٢) Lettre d'Enfantin à M. Ardoin en 28 août 1833 (Arsenal 7647, fo. 490) citée dans : Oeuvres .... T. IX, p. 64; D'Allemagne, p. 359.

ولقد عبر زعماء السان سيمونيين الآخرون مثل أرلس دوفور Arles Dufour و ( فورنل Fournel ) عن نفس الآراء .

ويرجع اهتمام السان سيمونيين بمشروع القناة ومحاولة تنفيذه وتمسكهم به قرابة قرن من الزمان ، أنه كان شديد الصلة بالمبادىء التى آمنوا وبشروا بها من عهد زعيمهم الأول ( سان سيمون ) ولأن المشروع كان يحقق كثيراً من الأهداف التى يسعون إلى تحقيقها ، فقد أعلن الأب ( انفانتان ) أن المشروع يعتبر أولى ثمرات سياستهم الاقتصادية(١) ، إذ كان التصنيع أساس فلسفة ( سان سيمون ) الاجتماعية باعتبار أن المجتمع الصناعى هو أقدر المجتمعات على إسعاد المواطنين ، ولكى يستمر النشاط الصناعى كان لا بد من قيام حركة واسعة للتبادل التجارى بين الشرق والغرب من أجل الحصول على المواد الأولية وتصريف منتجات المصانع ، وكان شق القنوات المائية فى مقدمة أنواع المواصلات التى تسهل التبادل التجارى .

وإلى جانب ذلك كان السان سيمونيون يرون أن النزعة القومية سوف تختفى لتحل محلها فكرة الإنسانية العالمية والوحدة المشتركة إذا ما تم ربط جهات العالم بوسائل المواصلات المختلفة ومنها القنوات المائية والسكك الحديدية . وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من الطبيعى أن تتسبب أفكار السان سيمونيين الاشتراكية والجمهورية فى إثارة سخط الحكومة فى فرنسا وأن تنظر بعدم الارتياح إلى مساعيهم لنشر هذه الأفكار وكسب الأعوان ، لما فى ذلك من خطر على الملكية وعلى الطبقة المتملكة فى فرنسا فى عهد ( لويس فيليب ) وهى الطبقة المتوسطة ، حتى لقد اعتبرت الحكومة الفرنسية أحاديثهم ومقالاتهم إنما هى وسائل لحض الناس على الثورة ضد السلطات القائمة . ومما زاد فى كراهية السان سيمونيين أنهم كانوا يتطلعون إلى تولى الحكم فى فرنسا واعتقدوا أن الواجب يقتضى الملك ( لويس فيليب ) أن يتخلى لهم عن مكانه لأنهم أكثر منه مقدرة وكفاءة على تسلم أمانة الحكم . وقد كتب ( ميشيل شيفالييه M. Chevalier ) وهو فى السجن يتنبأ بأنهم سيصلون إلى مقاعد الحكم خلال أربع سنوات . ولم يكن ( شيفالييه ) يرى ضرورياً أن يرأس الأب ( أنفانتان ) حكومة جمهورية فى فرنسا أو يتولى الوزارة فيها فرد بذاته

(١) Micard : Le Canal de Suez et le Genie francais, p. 67.

من قادة السان سيمونيين ، بل كان مقصده أن يتولى الحكم فى فرنسا أناس يؤمنون وحسب بالمبادىء السان سيمونية(١) .

لهذه الأسباب جميعاً لم تعد الحكومة الفرنسية راضية عن هذه الجماعة ، وإنما اعتبرتهم عنصراً من عناصر الفتنة والاضطراب وأنهم يتخذون من العمل على تحسين أحوال الفقراء ستاراً يخفون وراءه نواياهم الحقيقية ، ولذلك أخذت فى مطاردتهم ولم تلبث أن قدمت — فى أغسطس ١٨٣٣ — زعماءهم وخصوصاً الأب (انفانتان) و ( ميشيل شيفالييه ) إلى المحاكمة بتهمة القيام بأعمال مضرة بالنظام الاجتماعى القائم ، وصدر الحكم فى ٣٠ أغسطس من نفس العام بالسجن عاماً على زعمائهم كما نص الحكم على حل الجماعة ومصادرة مطبوعاتها .

وشعر السان سيمونيون بشدة وطأة الحياة التى صاروا يحيونها فى فرنسا بسبب الاضطهاد الذى لاحقتهم به السلطات الفرنسية الأمر الذى جعل ( بتى Petit ) يحبذ رحيل الأب ( انفانتان ) ليقضى فترة من الوقت بعيداً عن فرنسا حتى يمهد لنفسه سبيل العودة « فلا يعود خائفاً مكروها مهيناً كما كان ، ولكن ليعود وقد اكتسب محبة الناس وصار هؤلاء يرغبون فى عودته . . . » وذلك بقيامه بعمل مجيد خارج فرنسا يضفى عليه الشهرة(٢) ، ويؤدى إلى رد اعتباره(٣) .

وهكذا نرى أن السان سيمونيين عند ما أحسوا بأن حكومة فرنسا قد صارت غير راضية عنهم أخذوا يتحدثون عن مشروع يشغلون به جهود الجماعة ، يكون ميدانه خارج فرنسا ذاتها ، ومن شأنه العودة بالنفع على فرنسا وتقوية مركزها وذلك حتى يكسبوا رضا الحكومة الفرنسية ، ذلك الرضا الذى افتقدوه بسبب أعمالهم وآرائهم التى رأت فيها خطورة على الحكم القائم فى فرنسا آنذاك .

واقد كان بسبب هذه الرغبة إذاً أن قر رأى السان سيمونيين على الرحيل

---

(١) Lettre de M. Chevalier à Algae St. Hilaire, sans date, Arsenal 7706 : D'Allemagne, p. 316.

(٢) Lettre d'Alexis Petit à M. Lemonnier en août 1833, Arsenal 7771 : D'Allemagne, p. 357.

(٣) Aisenal 7704, D'Allemagne, p. 360.
Lettre de M. Chevalier à Arlés Dufour en 28 août 1833,

إلى مصر ، التى أرادوا أن تقوم بها « خارج فرنسا » أكبر مشاريعهم الإنشائية إطلاقاً ، فيقوى بفضلها مركز فرنسا ، أما المشروع الذى أرادوا تنفيذه ، فكان حفر قناة تربط — بطريقة ما — بين البحرين المتوسط والأحمر ، ذلك المشروع الذى كانت فرنسا توليه أهمية خاصة ، وبذلك ترتفع مكانة السان سيمونيين فى نظر حكومتهم ويثبت لها نفعهم كجماعة تعمل لصالح الأمة الفرنسية .

أما الحكومة الفرنسية فقد كانت من ناحيتها ترحب برحيل السان سيمونيين، حتى لقد صار المسئولون الفرنسيون يشجعون أصحاب السفن التجارية على نقل السان سيمونيين إلى الشرق على أن يقوم المسئولون بسداد نفقات الرحلة إذا عجز السان سيمونيين عن سدادها .

وقد لفت نظر السان سيمونيين موقع مصر ، فهى كما يقول الأب ( انفانتان ) أهم أجزاء أفريقية، يمر بها المسلمون من مختلف أنحاء القارة فى طريقهم إلى الأماكن المقدسة ، كما أنها تقع فى أكثر الجهات ملاءمة لتسيير الحملات إلى مختلف الجهات ، ولدى أهلها استعداد لتذوق العلوم والمعارف ، وبذلك يمكن القيام فى هذه البلاد بمشروعات منوعة تعود عليها وعلى العالم كله بالفائدة كمشروع حفر قناة تصل بين أوروبا والهند فتستفيد مصر عند ما تصبح ممراً لتجارة العالم كله ، وتستفيد أوروبا نتيجة اقترابها من أسواق الشرق(1) .

وكان مما شجع السان سيمونيين على اتخاذ مصر مسرحاً لنشاطهم من جهة وميداناً لمد نفوذ فرنسا من جهة أخرى ، أنه كان يوجد فى هذه البلاد عدد غير قليل من الأوروبيين ، ومن الفرنسيين خصوصاً ، على رأس كثير من المؤسسات التعليمية والصناعية والعسكرية ، واعتقد السان سيمونيون أنه بمعونة هؤلاء ، وكذلك بمعونة الشبان المصريين الذين كانت توفدهم مصر لتلقى العلم فى فرنسا ، يستطيعون تنفيذ هذه المشروعات .

ومن ثم فقد كانت الفكرة التى سيطرت على ذهن الأب ( انفانتان ) وأعوانه هى غزو مصر اقتصادياً واجتماعياً وليس حربياً سياسياً ، وذلك عن طريق الإسهام

---

(١) Lettre d'Enfantin à Barrault en 8 août 1833 : Oeuvres de St. Simon et d'Enfantin T. IX pp. 56-7 ; D'Allemagne, p. 357.

فى المشروعات التى يتسنى بفضلها إعطاء فرنسا مركزاً ممتازاً فى مصر ، وقد بلغ من إيمان السان سيمونيين بضرورة بسط نفوذ فرنسا فى مصر أنهم صاروا يدعون الحكومة الفرنسية إلى تأييد دعاوى الدول الأوربية الأخرى وخاصة روسيا وانجلترا فى أملاك الدولة العثمانية الأخرى حتى لا تلقى فرنسا معارضة من جانب هاتين الدولتين خصوصاً قد تحول دون بسط النفوذ الفرنسى فى مصر ، فقد اعتقد الأب ( انفانتان ) أن ثمة ضرورة ملحة فرضتها « السماء » حتى يشهد القرن التاسع عشر آثارها ألا وهى استعمار الغرب للشرق « لأن الله يدعو روسيا صوب الأناضول وفرنسا صوب مصر ، وانجلترا صوب أرض الفرات من أجل إدخال المدنية الأوربية إلى هذه البلاد المتخلفة ونشر ألوية الحضارة بين ربوعها وذلك بالقيام بحملات صليبية سلمية لنشر الحضارة المسيحية ودعم أركانها »(١) وهذا (لامبير Lambert أحد الذين اشتركوا فى رحلة السان سيمونيين إلى مصر يكتب إلى أنفانتان فى ١٧ ديسمبر ١٨٣٣ بأن فرنسا كانت قد بدأت حملة مسيحية صليبيـة جديدة على عهد الجمهورية عام ١٧٩٨ — ويقصد حملة بونابرت على مصر — وأن ذهاب السان سيمونيين الآن ( ١٨٣٣ ) إنما معناه تجدد هذه الحملة لبلوغ الغاية ذاتها .

وهكذا نرى كتابات السان سيمونيين أنفسهم تدحض ما ذهب إليه البعض من أن مشروع رحلة السان سيمونيين إلى مصر لتوصل البحرين قد صدر عن رغبات نبيلة وأفكار وآراء سامية .

* * *

### الاعداد لتنفيذ المشروع :

وإذ حدد السان سيمونيون هدفهم من الرحيل إلى مصر حتى شرعوا فى الاستعداد لتنفيذ المشروع ، وكانت استعداداتهم فنية هندسية من ناحية وسياسية من ناحية أخرى ، وقد اضطلع بالجانب الفنى المهندس ( فورنيل Fournel ) الذى أخـذ فى دراسة المشروعات السابقة لتوصيل البحرين وبخاصة الأعمال التى قام بها فى برزخ

---

(١) Lettre d'Enfantin à Arlès Dufour en 13 Janvier 1836, Arsenal 7615, fo. 400 : Oeuvres de St. Simon. T. XI p. 9; D'Allemagne, p. 328.

السويس المهندس لوبير Lepère على عهد الحملة الفرنسية ، كما نشط السان سيمونيون في ضم عدد من المهندسين من خريجى مدرسة الهندسة العليا بمختلف أقسامها .

كما مهد ( أنفانتان ) لرحيله إلى مصر بإيفاد مجموعات متتابعة من أعوانه لإعداد العدة لاستقباله هو ومرافقيه ، وكانت أولى هـذه المجموعات تلك التى وصلت إلى الإسكندرية آخر أبريل ١٨٣٣ ، وبمجرد وصولها شرعت فى الدعاية لمبادىء الجماعة ، وفى ٢٤ مايو من نفس العام وصلت مجموعة ثانية على رأسها ( بارو Barrault ) عن طريق الآستانة التى لم يستطيعوا البقاء فيها لعدم رضا الحـكومة العثمانية عن مبادئهم حتى أبعدتهم عن البلاد(١) ، فجاءوا إلى مصر وبدأوا بخلع ملابسهم الغربية وحلق ذقونهم حتى لا يبدو منظرهم غريباً فتساء معاملتهم كما حدث لهم فى الآستانة .

وهكذا تجمع فى مصر من السان سيمونيين نحو عشرين شخصاً قبل وصول الأب ( انفانتان ) ومن معه من فرنسا ، وقد قام ( بارو ) ومن معه — قبل وصول أنفانتان — ببعض الدراسات الفنية فى منطقة برزخ السويس .

أما النشاط السياسى للسان سيمونيين فيتجلى فى محاولة جس نبض الحـكومة العثمانية وكذلك حكومة انجلترا لمعرفة إلى أى حد يمكن أن تؤيد كل منهما المشروع أو تعارضه ، ولذلك كتب ( فورنل ) إلى أحد المتصلين بجماعة السان سيمونيين وهو دكتور ( بايلى Bailly ) يطلب منه أن يتعرف على وجهة نظر انجلترا إزاء مشروع توصيل البحرين وذلك عن طريق ممثليها فى الآستانة .

ولم يكن رد دكتور ( بايلى ) مشجعاً ، لأنه - كما ورد فى خطابه إلى ( فورنل ) فى أغسطس ١٨٣٣(٢) — خرج من اتصالاته فى الآستانة بنتائج مفادها أن انجلترا تخشى أن يترتب على تنفيذ مشروع القناة ازدياد نفوذ ( محمد على ) فى مصر بحيث يتفوق على غيره من الحكام الآخرين الذين يتولون الحـكم فى الأقطار العديدة التى تتكون منها الدولة العثمانية ، كما كانت انجلترا ترى أنه من الواجب عليها إبقاء الهند

---

(١) Lettre de Cognat au Père Enfantin en 9 mai 1833, Arsenal 7708 ; Lettre de Barrault à Enfantin en 9 mai 1833, Arsenal 7646 fo. 128, D'Allemagne 375.

(٢) Lettre de Dr. Bailly à Fournel en Août 1833, Arsenal 7647 fo. 186, D'Allemagne pp. 358-9.

بمنأى عن دائرة نشاط فرنسا والنمسا ، وأنه إذا صارت بحار الهند — بعد شق قناة بين البحرين المتوسط والأحمر — فى متناول الأساطيل الفرنسية والنمسوية فإن مركز انجلترا فى الهند سوف يكون حرجاً ، ومن ثم فإن انجلترا — كما يقول (بايلى) — لا توافق على المشروع ، وإنه إذا كان الإنجليز يبحثون فى استخدام طريق الفرات والخليج الفارسى للوصـول إلى الهند ، فذلك من أجل البريد لا من أجل التجارة التى يقنعون بنقلها عن طريق الرأس .

## السان سيمونيون وفكرة الحياد :

وإلى جانب ذلك بحث السان سيمونيون وسيلة تنفيذ المشروع وتمويله ، وتوصلوا إلى أنه من الأفضل أن يكون التنفيذ جماعياً فدعوا إلى مساهمة الدول حتى لا تحاول واحدة منها — وعلى الأخص انجلترا — الحصول على امتيازات خاصة ، ومن أجل ذلك أعربوا عن أملهم فى أن ينعقد ( مؤتمر أوروبى ) من ملوك الدول الأوروبية لبحث تنفيذ المشروع(١) .

وقد بلغ من إيمان السان سيمونيين بفكرة ( تدويل ) مشروع القناة أنهم فكروا فى فصل منطقة برزخ السويس عن مصر وادعى ( أنفانتان ) أنه لا يوجـد ثمة ارتباط بين البرزخ ومصر ما دامت الصحراء تفصلهما عن بعضهما .

## الرحلة :

وفى ٢٩ أغسطس ١٨٣٣ غادر الأب ( أنفانتان ) باريس مع بعض رفاقه إلى ليون ، ومنها إلى مرسيليا انتظاراً لسفينة تقلهم إلى مصر .

وفى أثناء وجوده فى مرسيليا أوفد ( أنفانتان ) زميله ( دوجويه Duguet ) إلى مصر لإعداد العدة لاستقبالهم ، وقد زوده ( فورنيل ) ببعض التعليمات من أهمها الإلمام ببعض المشروعات العلمية والصناعية التى كانت تشغل بال ( محمد على ) وذلك تمهيداً للمشاركة فيها حتى تثبت أقدامهم فى البلاد . وأخيراً غادر ( أنفانتان ) ميناء مرسيليا فى صباح الثالث والعشرين من سبتمبر ١٨٣٣ على ظهر السفينة ( ولى العهد

---

(١) Lettre de Fournel à Arlès Dufour de Marseille le 3 Sept. 1833, Oeuvres de St. Simon .... T. IX, p. 90.

Prince Hereditaire ، وبعد شهر كامل رست الباخرة به فى ميناء الإسكندرية فى الثالث والعشرين من أكتوبر ١٨٣٣ ، ومعه ذلك النفر من أتباعه المتخصصين فى الهندسة والزراعة والطب والتعليم والفنون ، أولئك الذين عزم ( أنفانتان ) أن يكون منهم جالية صغيرة يعمل على زيادتها بالتدريج طبقاً للحاجة إلى خدماتهم ، وإذا ما رأى أن هذا الفوج الأول قد أظهر كثيراً من الكفاءة وحقق كثيراً من الفائدة(١) .

ولم يكن ( أنفانتان ) مطمئناً لترحيب ( محمد على ) بهم بعد طردهم من فرنسا ومن الدولة العثمانية ولغرابة مبادئهم ، ولذلك بدأ السان سيمونيون بمحاولة توطيد علاقاتهم بأفراد الجالية الفرنسية فى البلاد وفى مقدمتهم ( ميمو Mimaut ) القنصل و ( فرديناند دى لسبس ) نائبه وقد استطاع الأخير إقناع (محمد على) بتركهم يقيمون فى مصر ووعده بأن يستخدم سلطاته القنصلية فى ترحيلهم عنها إذا ما سببوا اضطراباً للأمن العام(٢) .

وعند ما فاتح السان سيمونيون القنصل الفرنسى بشأن مشروعهم لشق قناة بين البحرين نصحهم بعدم مفاتحة ( محمد على ) إلا بعد إعداد مذكرة مدروسة دراسة وافية على أن يمهدوا لمشروعهم بالدخول أولا فى خدمة الباشا حتى يستكملوا دراسة المشروع ويحوزوا ثقة الباشا فيسهل عليهم بعد ذلك الحصول على موافقته على المشروع .

## دراسات السان سيمونيين التمهيدية لمشروع القناة :

وقبل وصول ( أنفانتان ) إلى مصر قام بعض أتباعه ممن سبقوه وهم ( الريك Alric ) و ( كولان Colin ) بدراسة منطقة السويس فى بداية أكتوبر ١٨٣٢ وفى ١٦ نوفمبر ١٨٣٢ بعث ( أنفانتان ) بنفر آخر لدراسة منطقة البرزخ تمهيداً للرحلة التى كان يزمع هو القيام بها بنفسه .

وفى ٢٠ يناير ١٨٣٣ قام ( أنفانتان ) بالرحلة إلى منطقة البرزخ ومعه عدد

---

(١) Lettre d'Enfantin à Colonel Brack : Oeuvres de St. Simon et d'Enfantin, T. IX, p. 140.

(٢) Bridier, L. : Une Famille Française — Les De Lesseps, p. 330.

من أتباعه المهندسين ، فطافوا بفرع دمياط وزاروا المنصورة وزفتى ثم اتجهوا بعد ذلك إلى قلب البرزخ وساروا بمحاذاة بقايا القناة القديمة حتى وصلوا إلى البحيرات المرة . وقامت بعثة السان سيمونيين خلال هذه الرحلة ببعض الأعمال الفنية الهندسية المتصلة بالمشروع فأجروا بعض المقاييس ووضعوا الخطوط الرئيسية لمشروع قناة .

وبينما كان ( أنفانتان ) وبعض أتباعه يقومون بهذه الدراسات فى برزخ السويس ، كان ( فورنل ) فى القاهرة لإقناع ( محمد على ) بالمشروع ، وبفضل تزكية القنصل الفرنسى استقبل ( محمد على )( فورنل ) فى الساعة التاسعة من مساء اليوم الثالث عشر من يناير ١٨٣٤ وفى خلال الحديث ذكر ( محمد على ) أنه يبحث تنفيذ مشروع خط حديدى بين القاهرة والسويس وأنه لذلك طلب أحد المهندسين المختصين من انجلترا ، وسأل الباشا (فورنل) عن الوقت الذى يستغرقه إعداد نموذج لمشروع الخط الحديدى فتعهد ( فورنل ) بإنجازه خلال أربع وعشرين ساعة . وفى مساء الخامس عشر من يناير مثل ( فورنل ) مرة أخرى أمام ( محمد على ) وقدم له النموذج الذى أعجب به الباشا ومع ذلك لم يعهد إليه بتنفيذ مشروع الخط الحديدى ، وكان ( فورنل ) عنى نفسه بذلك ، إذ كان ( محمد على ) قد طلب مهندساً انجليزياً لهذه المهمة . ورغم هذه الصدمة فإن همة ( فورنل ) لم تضعف وحماسته لم تفتر ، فما زال أمامه المشروع الأكبر — مشروع توصيل البحرين — الذى من أجله حضروا إلى مصر .

وفى خلال الأحاديث التى جرت بين ( محمد على ) و ( فورنل ) فى ١٣ و ١٥ يناير حاول ( فورنل ) إقناع الوالى بتنفيذ مشروع القناة على أساس أن القناة ستكون محايدة ، وذلك لكى يهدىء من مخاوف ( محمد على ) من هذه الناحية[١] . وقد قام (فورنل ) بالاشتراك مع زميله ( لامبير ) بوضع مذكرة فى ١٧ يناير ١٨٣٤ ألح فيها على ( محمد على ) بضرورة البدء فى مشروع القناة قبل أى مشروع آخر ، وترجمت هذه المذكرة إلى اللغة التركية ، وعهد إلى مسيو ( ميمو ) بتقديمها إلى الباشا فقدمها فى ٢٤ يناير ١٨٣٤[٢] .

---

(١) Oeuvres de St. Simon et d'Enfantin, T. IX pp. 197-8.

(٢) D'Allemagne : Ouv. cit., pp. 400-402.

ولكن ( محمد على ) كان فى ذلك الوقت يبحث عدة مشروعات لكل منها أنصاره الذين يفضلون مشروعهم على غيره ، فهذا ( لينان دى بلفون ) يدعو لمشروع القناطر ، والسان سيمونيون يطالبون بالقناة ، أما انجلترا فإنها عن طريق ممثلها ( جالواى Galloway ) كانت تحبذ إنشاء خط حديدى بين القاهرة والسويس ، وعندما عرضت هذه المشروعات على المجلس العالى فى جلساته التى عقدها أيام ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ يناير ١٨٣٤ تقرر تفضيل مشروع القناطر على غيره من المشروعات .

وقد كان هذا القرار صدمة أخرى ( لفورنل ) ، ولما كان يعتقد أنه ليس من الممكن تنفيذ مشروع القناطر بنجاح لقلة الدراسات الجيولوجية والهيدروغرافية ، فقد عزم على مغادرة مصر والعودة إلى فرنسا. وعندما وصل هذا النبأ إلى أنفانتان وكان لا يزال فى رحلته الاستكشافية فى برزخ السويس — أسرع إلى القاهرة فى ١١ فبراير وحاول ثنى ( فورنل ) عن عزمه دون جدوى ، فقد صار (فورنل) يعتقد أن الركود سيشمل السان سيمونيين لعدم موافقة ( محمد على ) على مشروع القناة الذى هو محور نشاطهم . وقد كان لرحيل ( فورنل ) أبلغ الأثر على نفس الأب ( أنفانتان ) الذى اعترف بعجزه عن قيادة الأتباع وترك لهم حرية اختيار الطريق الذى يسيرون فيه ، وكان من أثر ذلك أن فضل بعض السان سيمونيين اللحاق ( بفورنل ) والعودة إلى فرنسا .

ورغم رحيل هؤلاء ، وفشل السان سيمونيين فى الحصول على موافقة ( محمد على ) على مشروع توصيل البحرين فقد عول الأب (أنفانتان) ، ومن ظل إلى جانبه على المشاركة فى المشروعات الأخرى لعل الفرصة تسنح فيما بعد ويتحقق حلمهم فى تنفيذ مشروع القناة .

* * *

# نشاط السان سيمونيين فى مصر

## السان سيمونيون ومشروع القناطر :

لقد رأينا كيف فضل ( محمد على ) مشروع القناطر على مشروع السكة الحديد والقناة ، فقد كان يعتقد أن القناطر لو أنشئت فإن فائدتها سوف تعود على مصر ذاتها ، أما مشروع السكة الحديد ومشروع القناة فإنه على الرغم مما قد يعود به كل منهما على مصر من فائدة إلا أن الدول الأجنبية تسعى إليهما من أجل فائدتها كما تعارض انجلترا فرنسا بمشروع السكة الحديد ، وتعارض فرنسا انجلترا بمشروع القناة وأيقن ( محمد على ) أنه لو فضل أحد المشروعين على الآخر فإنه لا بد وأن يغضب إحدى الدولتين(١) . ولذلك فإنه بمجرد أن وافق المجلس العالى على مشروع القناطر عهد ( محمد على ) فى ٣ فبراير ١٨٣٤ إلى ( لينان ) بيدء العمل فى القناطر واقترح عليه إشراك من يرى فائدة من إشراكه من السان سيمونيين ، وفى ١٢ مايو ١٨٣٤ بدأ العمل رسمياً فى إقامة القناطر .

ولم يكن السان سيمونيون راضين عن تفضيل محمد على لمشروع القناطر على مشروع القناة ؛ إذ كانوا يعتقدون أن مشروع القناة عمل عالمى يعود بالنفع على العالم كله ويؤدى إلى ترابط أقطار العالم وبذلك تتحقق مبادئهم فى الوحدة العالمية ، بينما كانوا يعتبرون مشروع القناطر — رغم فائدته — مشروعاً يتصف بالأنانية لأنه مشروع قومى بحت لا يفيد إلا مصر وحدها (٢) .

ومع هذا فمنذ اعتزم ( محمد على ) تنفيذ مشروع القناطر وكلف ( لينان ) بذلك سارع الأب ( انفانتان ) بوضع خدماته وخدمات زميله ( لامبير Lambert ) تحت تصرف الباشا للمساهمة فى مشروع القناطر ، فقد اعتقد السان سيمونيون أن الطريق الوحيد لتحقيق هدفهم وتنفيذ مشروع القناة هو المشاركة فى المشروعات

---

(١) Husny, H. : Le Canal de Suez et La Politique Egyptienne (Montpellier 1923) p. 180.

(٢) Lettre d'Enfantin au General Soliman Bey, en 16 ma 1834, Arsenal 7618 fo. 41 Verso : D'Allemagne, p. 401.

الأخرى فى مصر وإثبات كفاءتهم ومقدرتهم حتى تسنح الفرصة لتحقيق حلمهم الـكبير ، ومن ثم فإن مشاركتهم فى مشروع القناطر تعتبر خطوة فى سبيل تنفيذ مشروع القناة ، كما أن الأب ( آنفانتان ) أراد أن يشغل مهندسيه ومن تبعه من العمال فى عمل ما حتى تحين فرصة مشروعهم الأكبر .

ولما كان أمام (لينان ) صعوبات ليست بالهينة فقد قبل ما اقترحه عليه ( محمد على ) من الاستفادة من جهود السان سيمونيين وقد وجد فعلا من بينهم كثيرين من المهندسين الأكفاء . ومنذ أخذ ( أنفانتان ) على عاتقه المساهمة فى المشروع أخذ يبدى به اهتماماً كبيراً ، فرفع إلى (لينان ) فى ٩ مارس ١٨٣٤ برنامجاً مفصلا للخطوات التى يجب اتباعها تمهيداً لتنفيذ المشروع ، فاقترح البدء بمسح المنطقة وتجهيز المواد والمعدات وتمهيد الطرق الضرورية لنقلها ، كما اقترح إقامة مدرسة للهندسة فى منطقة القناطر يلتحق بها عدد من الطلبة لمتابعـــة المران العملى أثناء دراستهم النظرية[١] .

وكان الأب ( أنفانتان ) والمهندس ( لامبير ) على رأس قائمة السان سيمونيين الذين أسهموا فى مشروع القناطر ، فقد غادر القاهرة فى ٩ مارس ١٨٣٤ ومنذ وصولهما إلى المنطقة المزمع إقامة القناطر فيها وهما مشغولان بأعمال القياس ، ومسح المنطقة .

وفى أواخر يونيو ١٨٣٤ بدأت وفود من المتطوعين الجدد يصلون إلى منطقة القناطر وكان فى مقدمتهم ( لاشيز Lachèze ) ، وكان بصحبتهم زوجاتهم ، وبعض النساء حتى لقد فكر ( أنفانتان ) فى الاستفادة من هؤلاء باستخدامهن فى تعليم البنات الأوربيات فى مدرسة تنشأ لهـذا العرض فى منطقة القناطر . كما استدعى ( أنفانتان ) زميليه ( أوار Hoart ) و (برونو Bruneau ) ووكانا لا يزالان فى فرنسا ، فكتب إليهما منذ ١٦ مارس ١٨٣٤ يستدعيهما « من أجل مشروع السويس » وكلفهما باصطحاب عدد من المهندسين ، وخاصة أولئك المتخصصين فى

---

(١) Note-Projet du Père Enfantin à Linant, en 9 mars 1834, Arsenal 7618 fo. 29 : D'Allemagne, p. 406.

الأعمال المائية(١). وقد وصل (أوار) و (برونو) إلى الإسكندرية فى ٢٠ أغسطس ١٨٣٤ وبصحبتهما الطبيب ( فورساد Fourçade) وهو جراح بالجيش الفرنسى ، وحصل على إجازة لمدة عام ، وتوالى حضور أعضاء جماعة السان سيمونيين من فرنسا إلى مصر ولحقوا بالأب ( أنفانتان ) فى منطقة القناطر ، فنى ١٤ ديسمبر ١٨٣٤ وصلت ( سوزان دى فوالكان Suzanne de Voilquin )(٢) ومعها المهندس المعارى ( جوندريه Gondret ) . ومهندس المناجم ( درووDrouot ) .

وقد شارك هؤلاء فى العمل فى مشروع القناطر وأنجز المهندسون منهم الكثير من الخطط والتصميمات ، وكان السان سيمونيون يعيشون فى منطقة القناطر كمتطوعين ، وقد شهد القنصل الروسى ( دوهاميل Duhamel ) وفود السان سيمونيين يحضرون للاشتراك فى مشروع القناطر . فذكر أنه كان من بينهم كثير من المهندسين المشهورين الذين تلقوا علومهم فى مدرسة الهندسة العليا(٣) .

ويبدو أن ( لينان ) كان يشعر أن ثمة مؤامرة تدبر لإبعاده عن إدارة مشروع القناطر ، واعتقد أن ( لأنفانتان ) يداً فى هـذه المؤامرة لـكى يحل هو محل ( لينان )(٤) ، ومن الممكن أن تكون شكوك ( لينان ) صحيحة ، فلعل ( أنفانتان ) لمس المقدرة على إتمام مشروع القناطر فرأى أن ينقل إدارة المشروع إلى السان سيمونيين وفيهم كثير من المهندسين الأكفاء ، ولعل ( أنفانتان ) — بالإشراف الرسمى على المشروع وبخاصة فى تنفيذه — يستطيع بعد ذلك إقناع ( محمد على ) بمشروعاته الأخرى فى مصر ، وفى مقدمتها مشروع القناة بين البحرين ، ويؤيد ذلك ماعبر عنه ( أنفانتان) من أن نجاحهم فى مشروع القناطر — رغم عدم إيمانهم به — يدعو إلى الاغتباط ، على اعتبار أنه سيكون تحت إمرته جيش من العمال يقدر بالآلاف يستطيع فيما بعد أن يوجههم إلى مشروعاته الأخرى .

(١) Lettre d'Enfantin à Hoart et Bruneau en 16 mars 1834, Arsenal 7618 fo. 21 : D'Allemagne p. 406.

(٢) وقد نشر لها فى عام ١٨٦٦ كتاب بعنوان Souvenirs d'une : fille du Peuple, ou La St. Simonienne en Egypte 1834-36.

(٣) Cattaui : Le Regne de Moh. Ali d'après Les Archives Russes en Egypte, T. II, p 158.

(٤) D'Allemagne, R. : Les St. Simoniens, p. 413.

ومهما يكن من أمر اشتراك ( أنفانتان ) فى المؤامرة ضد ( لينان ) فإن إحساس الأخير يدل على أن ( أنفانتان ) كانت له من الصفات والمزايا ما جعل ( لينان ) يخشى على مركزه فى تنفيذ مشرعات ( محمد على ) من أن ينافسه فيهـا ، إذ الواقع أن ( أنفانتان ) كانت له هيبة عظيمة ليس فقط بين زملائه بل كذلك عند كل من يتصل به ، ورغم أنه كان قد ترك الهندسة منذ مدة طويلة مما جعل البعض يعتقد بأنه لم يعد قادراً على إدارة أى مشروع ، إلا أن وجوده كان ضرورياً وفعالا فقد كان العامل الروحى لنشاط الأتباع .

وإزاء هذا الشعور من جانب ( لينان ) ورغبة من ( أنفانتان ) فى أن يستمر الوئام بين (لينان) وبقية السان سيمونيين المشتغلين فى منطقة القناطر غادر (أنفانتان) منطقة العمل وعاد إلى القاهرة حيث أقام لدى ( سليمان باشا الفرنساوى ) وهناك أتيحت له فرصة التفكير فى هدوء فى مشروعاته العديدة المقبلة . وقد صحب (أنفانتان) ( سليمان باشا ) فى جولة تفتيشية فى الأقاليم فغادرا القاهرة فى ٧ أكتوبر ١٨٣٤ ووصلا إلى دمياط ، وفى أثناء الرحلة كان ( أنفانتان ) يبدى كثيراً من المقترحات بشأن الإصلاحات التى كان يرى وجوب القيام بها والمنشآت التى تجب إقامتها فى هذه المناطق ، وعند عودتهما إلى القاهرة فى أوائل نوفمبر ١٨٣٤ وجدا فيها المارشال ( مارمون Marmont ) الذى كان ( لويس فيليب ) قد أعفاه من منصبه فى الجيش الفرنسى فقام برحلته المشهورة إلى الشرق ، وبقى ( أنفانتان ) فى القاهرة حتى ١٤ ديسمبر ١٨٣٤ حين عاد لمزاولة نشاطه فى منطقة القناطر .

وبينما الكل يعمل بهمة ونشاط فى مشروع القناطر وصل إليهم نبأ اعتزام ( محمد على ) إيقاف العمل فى المشروع لما لمسه من نقص فى الإعداد له وبسبب انتشار وباء الطاعون ، ذلك الوباء الذى فتك بالكثيرين من أتباع ( أنفانتان ) وهم فى ميدان العمل .

وقد كان لتوقف ( محمد على ) عن السير فى إتمام مشروع القناطر أثره على نفس الأب ( أنفانتان ) الذى عبر عن عدم دهشته لهذا التصرف واتخذه دليلا على عدم مقدرة مصر على النهوض وحدها بمثل هذه المشروعات « فكل شىء يشهد بعدم

مقدرة مصر على تنفيذ مشروع مماثل دون الاستعانة بأوروبا» [١] ، وأيقن (أنفانتان) كذلك أن مشروع القناة لن يخرج إلى حيز الوجود دون معونة الدول الأوروبية .

ورغم انشغال السان سيمونيين فى مشروع القناطر فإنهم لم ينقطعوا عن التفكير فى مشروعهم الأساسى وهو مشروع القناة ، وفى ذلك يقول الأب ( أنفانتان ) : « وسيظل ماثلا أمام أعيننا البحر المتوسط والبحر الأحمر والبرزخ الذى سوف نشقه » [٢] .

وفى أثناء زيارة المارشال ( مارمون ) خلال عامى ١٨٣٤ — ١٨٣٥ تحدث مع ( محمد على ) فى ١٤ يناير ١٨٣٥ بخصوص مشروع القناة ، فطلب ( محمد على ) أن ترفع له مذكرة عن المشروع فانتهز ( أنفانتان ) الفرصة وعهد إلى ( لامبير ) باعداد مذكرة عن مشروع لتوصيل البحرين على نمط المشروع الذى كان قد وضعه المهندس ( لوبير ) أيام الحملة الفرنسية كما طلب منه كذلك إعداد خريطة لمصر وغير ذلك من البيانات المتصلة بمشروع القناة [٣] .

إلا أننا لا نكاد نسمع شيئاً عن أثر تلك الدراسة ، ولعل هذا يرجع إلى أن (محمد على) وإن كان يشجع الدراسات والأبحاث المتصلة بمشروع القناة ، إلا أنه لم يكن يرى الوقت مناسباً لتنفيذه ، هذا علاوة على ما حل بالسان سيمونيين من كوارث بسبب موت كثير من الأتباع نتيجة تفشى الطاعون وانشغال من تبقى منهم بأعمال أخرى .

## السان سيمونيون ونشاطهم التعليمى فى مصر :

ولم تكن مساهمة السان سيمونيين فى مشروع القناطر هى كل ما تمخض عنه نشاطهم فى مصر فى تلك الفترة ، بل كان لهم كذلك نشاط ملموس فى النواحى

---

(١) Lettre d'Enfantin à Lambert en 7 Août 1835, Arsenal 7615, fo 17, D'Allemagne, p. 415.

(٢) Lettre d'Enfantin à Hoart et Bruneau en 16 Mars 1834, Arsenal 7618 fo. 21 : Oeuvres de St. Simon et d'Enfantin, T. IX, p. 212.

(٣) Lettre d'Enfantin à Lambert en 15 Janvier 1835, Arsenal 7618, fo. 112, D'Allemagne, p. 414.

التعليمية وهو ميدان له أهمية كبرى فى نظرهم حيث كانوا يرون وجوب تعهد تلك النواة التى بذرها (بونابرت) فى مصر عندما أنشأ المجمع العلمى خلال حملته المعروفة .

وعندما كان ( محمد على ) يفكر فى إقامة القناطر كان يفكر كذلك فى إنشاء مدرسة للهندسة لتخريج مهندسين يستعين بهم فى تنفيذ مشروعاته المختلفة وقد رأينا ( أنفانتان ) يقترح فى ٩ مارس ١٨٣٤ على ( محمد على ) إنشاء مدرسة فى منطقة القناطر ، ولما كان ( محمد على ) قد اختار بعض تلامذة قصر العينى لدراسة هندسة الرى ( ١٨٣٣ ) فقد نقلهم بعد عامين إلى منطقة القناطر [١] ، وهكذا تحققت فكرة ( أنفانتان ) وارتفع عدد تلاميذ المدرسة إلى ستين ، لولا أن هذه المدرسة لم يقدر لها الإستمرار بسبب التوقف فى بناء القناطر ذاتها ، فضمت عام ١٨٣٦ إلى مدرسة المهندسخانة ببولاق .

وفى ٢٦ أغسطس ١٨٤٣ رفع ( أنفانتان ) إلى ( سليمان باشا الفرنساوى ) — وبناء على طلبه — مشروعاً لإعادة تنظيم المدارس والاشراف عليها ، وقد اقترح ( انفانتان ) فى هذا المشروع إنشاء ( مجلس للتعليم العام ) و ( لجنة استشارية للعلوم والفنون ) وقد تحققت أفكار ( أنفانتان ) إذ أمر ( محمد على ) بتأليف مجلس عام للنظر فى تنظيم المدارس وكان ( لامبير ) من بين أعضائه ، وهو المجلس الذى اقترح عام ١٨٣٦ تقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل : ابتدائية وتجهيزية وخصوصية ووضع اللوائح لكل مرحلة ، وبعد انتهاء مهمته حل المجلس ثم تكونت لجنة فى عام ١٨٣٦ أيضاً كانت مهمتها البحث باستمرار فى أمور التعليم أى كانت تختص بالشئون الفنية المتصلة بالمدارس ، وكانت لجنة دائمة عرفت باسم ( شورى المدارس ) أو ( مجلس المدارس ) [٢] .

وعندما أنشأ ( محمد على ) مدرسة للمعادن فى عام ١٨٣٤ آلت إدارتها — قبل

---

(١) وعين ( محمد بيومى أفندى ) أستاذاً عليهم هناك بعد انتهائه من دراسة الهندسة وأشغال القناطر فى فرنسا :

د. أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٣٦١ .

(٢) دكتور محمد فؤاد شكرى : بناء دولة ص ٩٧ — ٩٨ .

د. أحمد عزت عبد الكريم : المصدر السابق ص ٩٣ — ٩٧ .

ضمها إلى مدرسة المهندسخانة فى عام ١٨٣٦ — إلى ( لا مبير ) الذى كان متخصصاً فى أعمال التعدين والمناجم ، وبعدما أنشئت مدرسة المهندسخانة ببولاق عام ١٨٣٤ وضمت لها بعد ذلك مدرسة المهندسين بالقناطر الخيرية ومدرسة المعادن بمصر القديمة تقدم ( أنفانتان ولامبير ) بمقترحات بشأن النظام الواجب اتباعه فيها لكى تكون على نمط مدرسة الهندسة العليا بباريس .

وبعد رحيل ( أنفانتان ) وبعض أتباعه إلى فرنسا فى أواخر عام ١٨٣٦ شارك من بقى من السان سيمونيين فى كثير من المؤسسات التعليمية ، ففى عام ١٨٣٨ طلب من ( لامبير ) أن يقوم بالتدريس بمدرسة المهندسخانة ببولاق لأربعة من التلاميذ كانوا قد عادوا من فرنسا دون إتمام دراساتهم ، وفى سبتمبر ١٨٣٨ عين هؤلاء بعد تخرجهم مدرسين بالمدرسة ( ولامبير ) مديراً لها ، ويشاركه فى الإدارة ( حككيان أفندى ) ، وبعد ثلاثة أعوام نقل ( حككيان ) واستقل ( لامبير ) بإدارة مدرسة المهندسخانة حتى أبريل عام ١٨٤٩ حين خلفه فيها ( على مبارك ) (١) .

وقد اهتم ( لامبير ) بالنهوض بمدرسة المهندسخانة وقد نجحت فى تخريج عدد كبير من المهندسين والمدرسين المصريين وكذلك تعريب كثير من الكتب الرياضية ، حتى أنه فى عام ١٨٤١ بعد أن تمت التسوية المصرية العثمانية وظهرت الحاجة إلى إعادة النظر فى النظام التعليمى فى مصر على ضوء حاجات البلاد الجديدة ، قررت اللجنة المشكلة لتنظيم التعليم الإبقاء على مدرسة المهندسخانة لأهمية خريجيها ، واعترفت اللجنة بالتقدم العظيم الذى أحرزته المدرسة فى النهضة العلمية ، وعزت ذلك إلى دقة ناظرها ( لامبير ) وهمة أساتذتها (٢) .

ولما تولى ( إبراهيم ) الحكم فى يونيو ١٨٤٨ عقب اعتزال أبيه وشرع فى تنظيم التعليم على أسس جديدة كان ساعده الأيمن فى ذلك ( لامبيربك ) ناظر مدرسة المهندسخانة . ولم تكن جهود ( لامبير ) قاصرة على مدرسة المهندسخانة ، بل كان كذلك يدرس الرسم بمدرسة السوارى كما ساهم أيضاً فى عام ١٨٣٦ فى اللجنة التى

---

(١) أمين سامى : التعليم فى مصر ص٤٧ من الملحقات .

(٢) د . أحمد عزت عبد الكريم : التعليم فى عصر محمد على ص ١٣٠ ، ٣٦٨ .

نيط بها تنظيم مدرسة الطوبجية (١) .

ولم يكن ( لامبير ) هو الوحيد من السان سيمونيين عندما ساهم بهذا النصيب الـكبير فى خدمة المؤسسات التعليمية فى مصر ، فهذا الطبيب ( بيرون Perron ) أحد أفراد جماعة السان سيمونيين يتولى نظارة مدرسة الطب البشرى منذ عام ١٨٤١ (٢) وقد أنعم عليه برتبة القائمقام فى أواخر عام ١٨٤٥ ؛ وظل فى منصبه حتى استقال عام ١٨٤٦ وعاد إلى فرنسا ، كما اشترك ( بيرون ) مع ( سليمان باشا ) و ( لامبير ) فى لجنة تنظيم التعليم عام ١٨٤١ .

وقد تولى (برونو Brunoau )إدارة مدرسة الطوبجية بطرة من مارس ١٨٤٠ حتى أبريل ١٨٤٧ (٢) وأقامها على النموذج الذى كانت تسير عليه مدرسة الهندسة العسكرية بباريس ، كما تولى ( ديشارم Descharmes ) إدارة مصلحة الطرق والـكبارى ما بين عامى ١٨٣٨ ، ١٨٤٥ .

ومنذ مارس ١٨٣٤ وضع (أوليفييه Olivier ) و ( توشيه Toché ) و ( بوفور Beaufort )مشروعاً لتنظيم مزرعة نموذجية لـكى تـكون نواة لمدرسة زراعية ، وكان الأب ( أنفانتان ) متحمساً لهذا المشروع ورأى أن يتولى إدارته رجل كفء ولذلك أرسل يستدعى أحد أعوانه المخلصين من فرنسا وهو ( بتى Petit ) أحد خريجى مدرسة الزراعة فى ( روفيل Roville )وقد أوضح ( أنفانتان ) لزميله ( بتى ) فى رسالته إليه أنه وإن كان المشروع الرئيسى بالنسبة لهم هو مشروع القناة بين البحرين إلا أنه من أجل الوصول إلى هذا الهدف لا بد من المساهمة فى النشاط القائم فى البلاد فى مختلف النواحى ، ولذلك فإن ( أنفانتان ) كان يعتبر مشروع المزرعة النموذجية عظيم الأهمية رغم ما قد يبدو من ضآلته (٤) .

---

(١) د. أحمد عزت عبد الـكريم : المصدر السابق ص ٣٨٠ — ٣٨١ ، ٤٠٠ ـ ٤٠٩

(٢) Oeuvres de St. Simon .... T. XII, pp. 13-15

(٣) أمين سامى : التعليم فى مصر ص ٥٢ ( من الملحقات ) .

(٤) Lettre d'Enfantin à Petit en 31 Mai 1834, Arsenal 7618, fos. 48-50 : D'Allemagne, p. 419.

ولبى ( بق ) نداء زعيمه ووصل إلى مصر فى نوفمبر ١٨٣٤ يرافقه زميل له يدعى ( بسكو دى دومبال Dusco du Dombale ) وفى ٨ ديسمبر ١٨٣٤ قدم هذا الأخير مذكرة حول تنظيم المزرعة النموذجية بين فيها أن الهدف من إنشائها هو إقامة مدرسة زراعية على نمط مدرسة ( روفيل ) فى فرنسا ، وهدفها تعليم الزراعة لمائة من الفتيان سنوياً ، والعمل على إدخال آلات الزراعة الحديثة للتقليل من نفقات الأعمال الزراعية وتحسين سلالات الحيوانات وتهجين أصناف جديدة والاستفادة من الألبان فى صناعة الجبن وأقلمة دودة الحرير . وطالب ( بسكو دى دومبال ) فى مذكرته التى رفعت إلى محمد على بمساحة من الأرض تتراوح بين ١٠٠٠ — ١٢٠٠ فدان وعليها المبانى اللازمة ، ومائة من التلاميذ ممن تتراوح أعمارهم بين ١٤ — ١٨ سنة ، وكذلك المدرسين اللازمين لتدريس العلوم المختلفة[1] ، ولم يطلب صرف مرتبات له ولزملائه فى هذه المدرسة بل طالب بالمشاركة فى أرباحها ، وكانت مدرسة الزراعة التى تأسست أولا بنبروه عام ١٨٣٦ ثم انتقلت إلى شبرا فى عام ١٨٣٩ هى نتاج هذه الفكرة .

وبينما كان الأب ( أنفانتان ) ومعه ( لامبير ) منهمكين فى مشروع القناطر كان كثير من أتباع ( سان سيمون ) فى مصر يسعون لشغل بعض المناصب فهذا ( كولان Collin )منهمك فى إعداد إحصاء لمصر ، كما تولى ( لامى Lamy ) إنشاء حظيرة للماشية ، وأصبح ( كونيا Cognat ) و ( شاربان Charpin )طبيبين بالقناطر و ( الريك Alric ) يقوم بعمل تمثال نصفى ( لمحمد على ) كما طلب ( كلوت بك ) من ( ماشيرو Machereau ) أن يقوم بالتدريس فى مدرسة أبى زعبل ، وكان ( أوربان Urbain ) و(جرانال Granal )يقومان بتدريس اللغة الفرنسية بمدرسة المشاة بالخانكة ، وهكذا تغلغل السان سيمونيون فى كثير من نواحى النشاط فى مصر تحقيقاً لأحد الأهداف التى رسموها لأنفسهم قبيل رحيلهم من فرنسا وذلك بالمساهمة فى المشروعات المختلفة حتى تثبت أقدامهم فى البلاد وتتاح لهم فيما بعد فرصة تحقيق مشروعهم الأكبر — مشروع القناة بين البحرين .

وقد كان ( أنفانتان ) سعيداً بهذا النجاح الذى حققه أتباعه فى مصر ، ومع

---

(١) D'Allemagne, R. : Les St. Simoniens, p. 419.

ذلك لم يكن جميع أفراد جماعة السان سيمونيين فى مصر يقومون بأعمال تدر عليهم معاشهم؛ فقد تتابعت وفودهم حتى ازداد عددهم وصار من الصعب على الأب (أنفانتان) أن يدبر مصدر الرزق لهم جميعاً حتى لقد اضطر كثير منهم إلى العودة إلى فرنسا .

ولم يلبث الطاعون أن تفشى فى يناير ١٨٣٥ وراح ضحيته عدد كبير من جماعة السان سيمونيين فى مصر ، وعندما توفى المهندس (أوار Hoart) فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٣٥ كان لموته أسوأ الأثر فى نفوس زملائه حتى أنهم اعتبروا أن رسالتهم قد وصلت إلى نهايتها بوفاة (أوار) .

وبسبب انتشار الطاعون رحل (أنفانتان) عن القاهرة بصحبة بعض الأتباع ، فغادروها فى ٢٥ فبراير ١٨٣٥ على إحدى المراكب فى النيل واتجهوا جنوباً ، وفى طريقهم زاروا أبيدوس ومعبد دندره ووصلوا إلى الأقصر حيث زاروا الآثار المصرية القديمة ، وهناك تكررت مقابلات (أنفانتان) مع (ميمو) قنصل فرنسا الذى كان قد لجأ هو الآخر ومعه كثير من أعضاء الجالية الفرنسية إلى الصعيد هرباً من الوباء ، وظل (أنفانتان) فى الأقصر حتى غادرها فى ١٦ سبتمبر فوصل إلى القاهرة فى ٢٣ منه عن طريق النيل .

ولم يكن الموت هو المصير الوحيد الذى كان ينتظر أتباع (سان سيمون) فى مصر؛ فهذا (أوربان Urbain) يتخلى عن كاثوليكيته ويعتنق الإسلام منذ ٨ مايو سنة ١٨٣٥ ، وحذا حذوه (ماشيرو Machereau) الذى تسمى باسم (محمد أفندى) وتزوج من سيدة مسلمة أنجب منها أربع فتيات سماهن بأسماء عربية(١) ، وقد كان هذا الحادث موضع سخرية (محمد على) إذ عبر عن شماتته فى جماعة (السان سيمونيين الذين وفدوا إلى مصر « لتحويل المسلمين عن دينهم فإذا باثنين منهم يتحولان إلى الإسلام »(٢) .

وفى ٨ فبراير ١٨٣٦ احتفل من بقى فى مصر من السان سيمونيين بعيد ميلاد

---

(١) Carré : Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte, T. I, p. 267.

(٢) Lettre d'Enfantin à Algae St. Hilaire en 5 Octobre 1835, Arsenal 7827 : D'Allemagne, p. 422.

الأب ( أنفانتان ) فاجتمع اثنان وعشرون منهم حوله معبرين عن حبهم وولائهم له ، وأمضوا الليل فى حديث ورقص وشراب(١) .

إلا أنه كان لانتشار الطاعون أثره فى تفرق الأتباع ؛ فغادر بعضهم البلاد عائدين إلى فرنسا ، علاوة على من اختطفهم الموت ووصل عددهم إلى خمسة عشر ماتوا — كما يقول ( أنفانتان ) « فى ساحة الشرف ، فى سبيل العمل الذى كرسوا له حياتهم تاركين لنا — ولى على وجه الخصوص — مهمة وشرف متابعة السير بعزم فى ذلك العمل الذى سقطوا تحت وطأته » .

ولذلك غادر ( أنفانتان ) القاهرة فى ٢٣ أكتوبر ١٨٣٦ مع لفيف من أعوانه إلى الإسكندرية التى أبحر منها فى الثلاثين من نفس الشهر فوصل مرسيليا فى ٧ يناير ١٨٣٧ تاركا فى القاهرة بعض الأتباع مثل ( لامبير ) و( برنو ) وغيرهما والبعض الآخر فى الإسكندرية . وعندما عاد ( أنفانتان ) إلى فرنسا لم يقابل بالحماس الذى كان يحلم به عندما غادرها إلى مصر ، وهكذا انفرط عقد السان سيمونيين فى مصر دون أن يقدر لمشروعهم — مشروع القناة بين البحرين — أن يتحقق ، إلا أن فشلهم لم يجعل اليأس يتطرق إلى نفوسهم ، بل استمر نشاطهم وظلوا متمسكين بالمشروع ، وإذا كان لم يقدر للمشروع أن يخرج إلى حيز التنفيذ إلا على يدى ( فردينان دى لسبس ) فإن التاريخ يسجل للسان سيمونيين فضلا لا ينكر بل يذكر ويقدر .

---

(١) Souvenirs d'une fille du Peuple, ou la St. Simonienne en Egypte, par Suzanne de Voilquin citée dans : D'Allemagne p. 438.